

إرادة القوة عند نيتشه: نحو تأويل أنطولوجي للإنسان الأعلى وابتكار القيم

Nietzsche's Will to Power: Toward an Ontological Interpretation of Übermensch and Value Creation

الوشفون عبدالنور¹

¹ جامعة يحي فارس- المدية (الجزائر)، elouchefoune.abdennour@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2026/01/15 تاريخ القبول: 2026/05/02 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مفهوم "إرادة القوة" في فلسفة فريدريك نيتشه بوصفه محوراً تأويلياً لفهم الوجود والقيم والمعنى. لا تُختزل إرادة القوة في بعدها البيولوجي أو النفسي، بل تُشكّل مبدأً أنطولوجياً يؤسّس لرؤية جديدة للعالم تقوم على تجاوز الأخلاق التقليدية، ونقد الدين، وإعادة تقويم القيم. يُعاد فهم مفاهيم مثل "موت القيم"، و"الإنسان الأعلى"، و"العود الأبدي" ضمن هذا الإطار، حيث تصبح الذات مسؤولة عن ابتكار المعنى في غياب المرجعيات المطلقة. تهدف الدراسة إلى بيان كيف أن إرادة القوة تعكس طموحاً وجودياً نحو التحرر، والعلو على الذات، وخلق الفردانية الخلاقة، بدلاً من الامتثال. وبالمنهج التحليلي-التركيب، يحاول هذا المقال كشف البنية التأويلية العميقة لفكر نيتشه، وبيان امتداده في نقد الحداثة، ودعوته إلى الإنسان المتفوق كضرورة تاريخية أنطولوجية.

كلمات مفتاحية: إرادة القوة ، الإنسان الأعلى، العود الأبدي، تجاوز الأخلاق التقليدية، ابتكار القيم.

Abstract:

This study explores Friedrich Nietzsche's concept of the "Will to Power" as the central key to his philosophical system. Far from being a mere biological or psychological drive, the Will to Power is presented as an ontological and interpretive principle, aiming to reconstruct values, redefine morality, and replace transcendental sources of meaning. Concepts such as "the death of God," "the Übermensch," and "eternal recurrence" are re-examined through this lens, where the individual becomes responsible for creating meaning in a post-metaphysical world. The study argues that Nietzsche's Will to Power reflects an existential aspiration for overcoming weakness, transcending the self, and establishing creative individuality. Adopting an analytic-synthetic method, the paper seeks to uncover the deep interpretive structure of Nietzsche's philosophy and highlight its relevance in critiquing modernity and envisioning a new hierarchy of values.

Keywords: Will to Power, Übermensch, Transcendence of Traditional Morality, Revaluation of Values, Creation of Values.

*المؤلف المرسل: الوشفون عبدالنور

تُعدّ إرادة القوة النواة الصلبة لفكر نيتشه، ومفتاحاً لفهم فلسفته الأنثروبولوجية، والأخلاقية، والميتافيزيقية. فهي لا تمثل مجرد طاقة بيولوجية أو نزعة نفسية، بل مبدأ كوني وتأويلي تتأسس عليه نظريته في القيم، وفي تجاوز الإنسان العادي نحو مشروع الإنسان الأعلى (Übermensch). من هذا المنظور، تصبح مفاهيم مثل الأخلاق التقليدية، والدين، والتعاطف، والمساواة، تعبيرات عن إرادة ضعف، في مقابل أخلاق القوة والخلق والمخاطرة.

لكن ما الذي يقصده نيتشه تحديداً بـ"إرادة القوة"؟

وهل تمثل هذه الإرادة مبدأ أنطولوجياً، أم هي تأويل رمزي لفاعلية الحياة؟ ثم، ما علاقتها بمفاهيم محورية أخرى في فكره، مثل "موت القيم"، و"العود الأبدي"، و"الإنسان الأعلى"؟ وهل تمثل إرادة القوة مشروعاً للتحرر أم لتأسيس نخبوية جديدة؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبارها نسقاً متكاملًا في نقد الحداثة الغربية والأخلاق المسيحية؟

يسعى هذا المقال إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تحليل مفهوم إرادة القوة عند نيتشه في سياقها الأنطولوجي والأخلاقي.
 - إبراز العلاقة بين هذا المفهوم وبقية العناصر التأسيسية في فلسفته (موت القيم، الإنسان الأعلى، العود الأبدي).
 - توضيح الوظيفة التأويلية لإرادة القوة في إعادة بناء نظام القيم.
 - نقد التصورات التبسيطية التي اختزلت إرادة القوة في النزعة العدوانية أو الحيوانية.
- وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يعالج إحدى أبرز أطروحات الفلسفة الحديثة ذات الامتداد الوجودي والسياسي والأخلاقي، ويعيد فهم نيتشه في ضوء النصوص الأصلية وتأويلاتها الدقيقة. وسيعتمد البحث على المنهج التحليلي-التركيبي، مع توظيف التأويل المفهومي ومقارنة المواقف، بهدف الكشف عن البنية الداخلية لفلسفة نيتشه، دون إسقاطات أو قراءة إيديولوجية.

1.2/ طبيعة إرادة القوة

تعتبر الإرادة مركز فلسفة نيتشه بأكملها، ونواة الوجود عنده كما أن لهذه الإرادة دوراً إيجابياً وسلبياً في الإنسان لأنها أحياناً تعود عليه بالخير وأحياناً أخرى تعود عليه بالشر، وفي هذا الصدد نجد نيتشه يقول: "الإرادة هي طاقة مصارعة وطاغية، هي زيادة القوة الديناميكية، كما أنها قدرة مبدعة وفي نفس الوقت مدمرة". (Jacqueline Russ, 1998, p. 336)

ويضيف أيضاً قائلاً "أينما وجدت الحياة، وجدت إرادة القوة، وحتى في إرادة المطيع وجدت هناك إرادة في أن يكون سيداً". (Jacqueline Russ, 1998, p. 348)

ومن خلال ما يقوله نيتشه نستنتج أن لا وجود للحياة دون إرادة، فالإرادة تصطبغ الإنسان حتى ينقطع عن الوجود. فالإرادة إرادة الحياة والحياة تحقق الإرادة إلا أن هذه الإرادة ليست الإرادة الكونية المطلقة، بل الإرادة

الملموسة، ويصور نيتشه إرادة القوة على أنها مبدأ غريزي لا عقلي تخضع له حواس الإنسان وأفكاره ويتبع نطاق إرادة القوة لديه ليتحول إلى مبدأ كوني.

لقد انطلق نيتشه في تفسير مذهبه إرادة القوة من عدة حقائق :

- فهو يقول إن الحياة مليئة بالشروع والقسوة وأن الإنسان القديم كان يشعر بنشوة كبرى من خلال أشد أعمال البطش، فهو يرى أن الإنسان أشد الحيوانات شراسة، ويشعر بسعادة لا مثيل لها عند رؤيته للمشاهد المؤلمة والمثيرة.

- يجب أن نحكم على الأشياء من خلال قيمتها في الحياة، ونحتاج إلى تفسير بيولوجي للقيم، والمقياس الحقيقي لاختيار الأفراد والجماعات يعود إلى القوة والنشاط والحيوية.

فالضعيف قليل الهمة "إذن الحياة لا تساوي شيئاً". (دورانت، قصة الفلسفة، صفحة 529) والأفضل له أن يقول أنني لا أساوي شيئاً، وبهذا تكون الحياة قد فقدت قيمتها عندما يتخلى الإنسان عن إرادة القوة والسلطة، وأخذ بمبادئ المساواة والديمقراطية التي تعصف بعظمة الرجال.

إذا قال نيتشه سابقاً "أينما توجد حياة، توجد إرادة" فهذا لم يكن يقصد من الإرادة، إرادة الحياة، وإنما هي إرادة القوة، فالإرادة عنده ترتبط بالفعل قبل كل شيء.

كما نجده أيضاً يفند ما جاء به علماء النفس: أن غريزة حفظ البقاء هي الغريزة الأساسية في الإنسان وعند كل كائن عضوي، أي أن كل كائن حي يسعى قبل كل شيء إلى إطلاق قوته، فالحياة بأسرها ما هي إلا إرادة القوة أما حفظ الذات فليس إلا واحد من أكثر النتائج الغير مباشرة شيوعاً لهذه الإرادة. وهنا نجد زرادشت "ينادي بأن إرادة القوة هي جوهر الوجود، وعن طريقها يمكن تفسير كل مظهر الوجود". (شعبان، فكرة الإرادة عند شوبنهاور، صفحة 45)

لقد شرع نيتشه فلسفة كانت جلها صادرة عن فكرة القوة لأنه رأى أن إرادة القوة هي جوهر الوجود، وبواسطتها يمكن تفسير الوجود ومظاهره. لكن إذا كانت فلسفة نيتشه كلها تعبيراً عن القوة، فإلى من تنسب القوة وإلى من ينسب الضعف؟ أو من هو القوي ومن هو الضعيف؟

إن الضعيف هو المضطرب في تركيب الروحي، أما القوي فهو الذي نجد فيه كل القوة المتوترة نحو غاية واحدة، وتتضاغط دون صعوبة على شكل نير أي قوة كلها مرهفة وموجهة نحو غاية مكونة بذلك قوة دافعة ضخمة تسيطر عليه وتدفعه دفعا.

إن الضعيف هو رجل التساهل، والتوسط والمساومة، وأما القوي هو من يميل إلى الطابع المضاد، فالضعيف ليس له القوة على مقاومة الإغراء. بينما القوي يقابل الضعيف برد فعل شديد وتراه يقول "مالا يقتلني يزيدني قوة" إنه يقبل على أكبر الأشياء خطراً ويشد أعظم المخاطر والإفناء كما يظل يطلبها. كما أن حياة الضعيف دائمة التألم من العوز واصطناع الأخلاق لإثارة نفوس الأقوياء أما القوي فهو يتألم من الإفراط في الثروة.

إرادة القوة عند نيتشه: نحو تأويل أنطولوجي للإنسان الأعلى وابتكار القيم

والضعيف أيضا يحيا حياة المحافظة على البقاء، أما القوي فيفضل المشكلات، والواحد من الضعفاء لا يريد أن يخطر بشيء بينما القوي يريد المخاطرة بكل شيء وغايته هي الخلق "الإنسان الأعلى" ومن صفاته، الشجاعة والنضال، وفي أعلى المستويات. (بدوي ع.، الموسوعة الفلسفية، صفحة 515)

تعتبر إرادة القوة الركيزة الأساسية في فلسفة نيتشه ولا شك أن اكتشافه لهذا المبدأ راجع لعدة أسباب ومنها:

- تجربته في الثورة الفرنسية وكذلك ارتباطه الوثيق بالتجربة الفكرية للشعب الألماني، إضافة إلى تأثره الشديد بنظرية شوبنهاور عن الإرادة، وبالموسيقار الألماني فاغنر Wagner.

ومن ثمة كان من اليسير على نيتشه في ضوء فلسفته "الإرادة" التي نادى بها شوبنهاور أن يستفيد من تجربة الثورة الفرنسية إذ يقول أنها تعطي كل شيء ممكن من صحة وطعام ومأوى، ومتاع إلا أنهم يظلون غير سعداء لهذا كله.

فهنا نجد نيتشه كمخالف للماديين الذين يعتبرون أن المادة هي الحقيقة النهائية والوحيدة، ومن الواضح أنه قد لاحظ ميله هذا إلى طلب القوة في نفسه كما لاحظته في غيره فهو يقول: "إنني متمسكا متمسكا تاما بالاستقلال، وأني أضحي بكل شيء في سبيله، وربما يرجع ذلك إلى أن نفسي ميالة إلى التبعية وأتألم بأوهى الخطوط، أكثر مما يتألم الآخرون بآثار السلاسل". (المعز، صفحة 125)

ويقول موضحا لهذه الفكرة: "إننا نسعى وراء الاستقلال والحرية من أجل القوة وليس العكس". (المعز، صفحة 125)

إن في فعل الخير أو الشر للآخرين فإننا في صورة تلقائية نمارس عليها سلطتنا، فنحن لا نرجو شيء ما عدا ذلك. (فريدريك، 1959، صفحة 61)

فالفضائل والقيم هي ما يميز الإنسان وأعظم ما فيه هو قوة الإدراك وثبات العاطفة، إذ بدونها يكون الإنسان ساذجا لا يصلح لشيء والحياة هي النمو وهي الرغبة والافتناء والامتلاك، ولهذا فإن إرادة الاستلاء والسطو على الآخرين طابعهما المميز هو اغتصاب الحقوق.

وإرادة القوة لا تظهر إلا بواسطة الكفاح والمقاومة، ولما كثرت المقاومة اشتدت الخصوبة، وازدادت قيمة الحياة، وأصبحت إرادة القوة أكثر ثروة، وأعظم خصبا لأن الحياة السامية تنشد دائما الخطر. وهذا يعود لوجودها في إرادة فياضة سخية ومن هنا يقول نيتشه: "كي تجنى أسمى ما في الوجود عش في خطر" فالحياة عند نيتشه عبارة عن مغامرات، وبالتالي يكون الخطر دائما محاطا بالإنسان، وهكذا لكي يحصل هذا الأخير على حقوقه لابد له من ممارسة الأخطار والتي تكون مدعومة بالإرادة إرادة القوة. فالإرادة تكون كامنة في الحياة جميعها، باقية بقاء الحياة، إذ يقال أن نيتشه قلص الفارق بين المراد والمرغوب فيه، ويحقق قدراته على التعالي حيث يقول: "إن من ينساق حول عواطفه وغرائزه هو الضعيف الذي تنقصه قوة الكبح والكبت وليس عنده من القوة الكامنة ليقول: لا؟ إذ لزم الأمر ذلك لأنه إنسان منحط متنافر ووضيع". (حميد، 1997-1998، صفحة 41)

يظهر لنا من كل ما سبق أن الغاية من إرادة القوة ليس بقاء الإنسان أولذته من الحياة، بل هدفها السامي والأبعد هو الاستلاء والسيادة والقيادة، وتحقيق هذا الهدف على أكمل وجه.

ب/ فلسفة الإرادة عند نيتشه

1/ الإنسان الأعلى عند نيتشه

"إن هدف الإنسانية هو الإنسان الأعلى وليس الجنس البشري بأسره" (ديورانت، صفحة 529) وأن آخر ما يجب على العقلاء المفكرين هو أن يسيطروا على بعث الإنسانية، ومنها الإنسان الأعلى. فالمجتمع عنده بمثابة أداة لرفع قوة الفرد وشخصيته.

من خلال ما يقوله نيتشه نتوصل إلى الهدف الذي يريد ابتغاه وهو البحث عن نوع خاص من الإنسان، هذا الإنسان المتفوق الذي يرتفع من دون عامة الناس، والذي يتميز بالتربية القوية، وكذلك لنشأته في ظروف حولته إلى إنسان قوي بعيدا عن الانتخاب الطبيعي، والطبيعة كما نعرف تميل إلى الفرد العادي، وتعمل على حمايته، حيث أنها تعمل على إخضاع أسى الرجال إلى عامة الشعب وهي بذلك تقوم بنظره الكثرة على القلة.

ولهذا يجب علينا اختيار الإنسان الأعلى من خلال وسائل تحسين النسل والتعليم الذي يرجع من قيمة الرجل.

ومن السذاجة حسب نيتشه أن تؤكد الزواج من طرف أسى الرجال عن طريق الحب: إذ يقول "إن الحب من شأن حثالة الرجال" (صمودي، 2015، صفحة 253) ويمثل هذه الشروط التي وضعها فيلسوفنا لتحقيق الإنسان الأعلى يرتفع الإنسان فوق الخير والشر وهذا يتجلى في عدم تردده في اللجوء إلى العنف والقسوة في سبيل الوصول إلى غايته، وبهذه الطريقة نحصل على إنسان شجاع لا خيرولا صالح.

والإنسان الأعلى النيتشوي هو ليس نوعا جديدا يولد من العدم، وانما هو نموذج للإنسان المنتصف بالشجاعة والقوة والإقدام والمغامرة معذبا للنفس وقاهرا للناس .

ولكن ما الدافع الذي أدى بفيلسوفنا إلى القول بالإنسان الأعلى؟ وما علاقته بالطبيعة الإنسانية فيه؟

إن الأرضية التي انطلق منها نيتشه في التفكير بمثل هذا المشروع هو كونه أصيب بمرض عضال سنة 1879 كاد أن يؤدي بحياته، فأوصى أخته قائلا: "إذا مت لا يقف حول جثمتي سوى الأصدقاء وأن لا يدخل الفضوليون من الناس، ولا تدعي قسيسا ينطق بالأباطيل والأكاذيب على قبري في وقت لا أستطيع الدفاع عن نفسي، أريد أن أدفن في قبري شريفا". (ديورانت، صفحة 533)

إن الأخلاق تجارب للبشر السابقين من حيث تقسيمهم لما هو ضار ونافع، ولكن شعور ألام أخلاق لا يتعلق بهدم التجارب، بل بوصفها تجارب لا تحمل الأخلاق القداسة الإنسانية، ومن هنا يقوم الإنسان بتجارب جديدة يصلح من خلالها الأخلاق السائدة. (بدوي ا، 1974، صفحة 143)

ومن هنا يظهر أن كل ما ورثناه عن سابقينا من أخلاق وعادات وتقاليدها وغيرها ليست بأشياء مقدسة، وغير صالحة في كل زمان ومكان فبالتالي يمكن تحسينها أو التخلي عنها يوم تكون لا تتماشى مع روح العصر. لما يصبح مدى غرض تحقيق الحياة هو المعيار الذي يخلق قيمتي الخير والشر فلاشك أن غرا الإنسان في هذه الحالة لا يخضع للقوانين الأخلاقية المعمول بها بل يكتسب مزيدا من العلاء في الحياة على الدوام، وهذا ما يسميه نيتشه بـ"الإنسان الأرقى" (Ubermensch) وهو مظهرا من مظاهر تأثيره بالفلسفة التطويرية عند داروين.

إرادة القوة عند نيتشه: نحو تأويل أنطولوجي للإنسان الأعلى وابتكار القيم

واعتقد أنه يرمي إلى أن يخرج التطور نوعا إنسانيا أرقى مثلما تطور القرد قبل ذلك إلى الإنسان.

فالإنسان الأرقى هو تجسيد للمثل الأخلاقي عند نيتشه، فهو ليس الإنسان الطيب الذي يخضع للقوانين الأخلاقية المتعارفة عليها محاولا بذلك تحقيق الخير وتجنب الشر، بل هو إنسان يسعى إلى مزيد من الحيوية في كل شيء فالقانون بفكرة التفسير التطوري عنده لفكرة الإنسان الأرقى قد عثروا على نصوصا تدلهم على رأيه كقوله: "إن كل كائن قد خلق من قبل شيئا يعلو عليه". ويقول كذلك: "مازال فيكم من الدودة الكثير، لقد كنتم في وقت ما قرودا، ومازال الإنسان إلى اليوم قردا أكثر من القرد". (فؤاد، صفحة 103)

ويتضح لنا أن ما يرمي إليه نيتشه من فكرة الإنسان الأرقى يختلف عن مجرد التقدم الدارويني، إذ أن التطور لا يقول أبدا أن الإنسان لا يزال إلى اليوم فردا أكثر من الفرد أو أن فيه من الدودة لكن ما يعنيه نيتشه بكلمة قرد بشكل أعم هي النزعة إلى الثبات.

فهو يحمل على الخضوع الحياة الحيوانية الإيقاع ثابت، وسيرها على وتيرة واحدة ويؤكد أن الأخلاقية بما فيها من قواعد تنظيمية يخضع لها المرء آليا دون أن يشعر بالمخاطرة والابتكار، ويعني أن الإنسان لم يتقدم على مستوى الجمود الحيواني كثيرا، فليست فكرة الإنسان الأرقى بهذا المعنى إلا دعوة إلى التقدم الحيوي.

يعتبر نيتشه العظماء وحدات نادرة في خضم القطيع البشري، ويضيف أن الطبيعة لما تجود تقسوا على من تجود عليه، فالعظماء أقدر وأضعف مما هم قادرون كأفراد، وضعفاء كجماعات، وفي هذا الصدد يقول: "أكثر الأشكال تعقدا وغنى، ولا تغني نماذج فائقة أكثر من ذلك أسهل زوالا (.....) العبقريه أسى آلة موجودة وبالتالي أوهى آلة". (قمير، نيتشه النبي المتفوق، صفحة 34)

لقد كان نيتشه كثير الإعجاب بعظمة الرجال أمثال "نابوليون" لأنه رأى فيهم رموز التأكيد الداخلي الذاتي، بل إنه يكاد يكون على عائقه نموذج السوبرمان (ubermensch). أكثر شيئا بالفنان الذي رأى فيه شيئا بالنبي الخاشع العامل على بناء الإمبراطوريات. (هنري، 1971، صفحة 147)

يقول نيتشه من الناحية التاريخية: "الحق على الأرض هو تابع للصراع تحديدا ضد الأحاسيس السلبية" (Nietzsche, La genealogie de la moral, 1968, p. 89) أي أن الحروب والصراعات هي التي تعطي الأحاسيس الفاعلة والعدوانية التي تتركس جزءا من قوى الناس لتقف ضد عواطفهم السلبية، وتحولها إلى نسق أو نظام تمارس فيه العدالة وتكون هذه الأخيرة المتحكمة في سلطتها.

فالغاية التي تمدنا بها الإنسانية ليس غرضها تقديم السعادة أو اللذة أو المنفعة بل العمل على خلق القيم التي قد تسمو بمستوى الإنسان، وبالتالي يكون دور الإنسان الحالي هو السعي وراء خلق هذا النوع الممتاز، ونجد نيتشه يقول على لسان زرادشت مخاطبا المجتمع "إنني أدعوكم بدعوة الإنسان الأعلى، الإنسان شيء يجب أن يعلى عليه، وهذا عملكم من أجل العلاء عليه". (بدوي ع.، الموسوعة الفلسفية، صفحة 516)

بعد أن يتوفر السوبرمان على الأصل الطيب يدفع به إلى مدرسة صارمة تتوفر على قليل من الراحة والكثير من المسؤوليات حيث يعملون على تحمل الجسد والمعاناة والصمت والصبر دون أن تكون فيها إنقاص من الحرية والإضعاف الجسدي والأخلاقي.

ويصبح هذا الإنسان متميزا بحب المخاطرة والتنازع والحيوية والعقل، والكبرياء وكل هذه الأخيرة من صفات السوبرمان، ولكن هذه الخصائص لا تكون فاعلة إلا إذا اجتمعت. إن الإنسان الأعلى عند نيتشه يكون على منوال باسل ينبض بالحيوية أكثر فاعلية على الإنسان يطلب كل ما هو كان، وكل ما هو كائن وكل ما هو مقبل وآت، وهذا الكل ما هو أزلي وبدون انقطاع. (Nietzsche, 1965, p. 56) فهدف نيتشه هو خلق الإنسان الذي تبلغ فيه القوة كل ذروتها، وأن يولد السوبرمان ويظهر الرجل الأعلى، وأصبح من المستحيل تفاديه: فكيف يمكن أن نضحي بتطور الإنسانية من أجل خلق سلالة أرقى؟

"إن الإنسان يصبو دائما إلى الاستلاء والسيادة والقيادة ويتحقق هذا على أكمل وجه إذا ما ظهر المتفوق السيد القائد والمبدع. فالفكر السلس القياد يأخذ على عاتقه كل هذه الأحمال الثقيلة، ويسرع بها نحو القفز كالجمل الذي يسرع بحمله نحو القفز". (قمير، نيتشه النبي المتفوق، صفحة 83)

يقول نيتشه: "ما أنا إلا منبئ بالصاعقة، أنه إلا القطرة الثقيلة المتساقطة للغيوم وهذه الصاعقة هي المتفوق".

2/ العود الأبدي:

ماذا نعني بهذا المصطلح؟ إن لفكرة العود الأبدي تاريخ طويل وجذور عميقة في الفلسفة، بل قبلها. فأصولها ترجع إلى عهد الأديان القديمة التي قامت على أساس أسطوري، أي بعيد عن العقل والمنطق واحتلت الفكرة أهمية كبيرة، خاصة في الفلسفة اليونانية، وقد ظهرت لها بوادر في فلسفة "أنكسيمندريس" حين قال بعدد لا متناهي من العوالم، واعتقاد "أنكسيمانس" بغناء الكون، ومن هنا يمكننا القول أنه قد عرف نوعا من التعاقب بين الأحوال المختلفة للعالم بقرب من تقول به نظرية العود الأبدي، وإن لم تكن على ثقة من أن كل عالم ستكرر فيه في دقة نفس الحوادث كما تقول النظرية وازدادت فكرته وضوحا، عند "هيراقلطس" فالنار في نظره هي العنصر الكوني الأساسي تلتهم العالم بين فترة وأخرى فيعود العالم بعد ذلك عودا مماثلا لصورته الأولى.

ولقد شهد له أفلاطون بأنه رأى العالم في حالة تغير دائم، يتم خلاله التبادل بين قوتي الحب والكراهية، بحيث يكمل الكون دورته كلما عاد أحد هذين العنصرين إلى السيطرة الكاملة، وإن كنا في كل هذه الآراء لم تصادف العودة الأبديّة تماثل فيه كل التفاصيل الدقيقة للعالم، فلا شك أن الفكرة قد ظهرت بأكملها لدى "الفيثاغوريين"، فتتكرر كل حوادث العالم مثلما تتكرر فصول السنة.

إن ما يحدث الآن قد سبق له - حسب نيتشه - أن حدث سابقا وسوف يتكرر مستقبلا، حيث أننا نجد أسطورة العود الأبدي، الملجأ الأخير الذي يعود إليه نيتشه في محاولة الخلاص من تشاؤمه. فتعود الأشياء في نهاية المطاف إلى ما كانت عليه. (السوفيات، صفحة 949)

كل كائن في هذا الوجود وعلى رأسه النوع الإنساني يدور دورة الحلقة الأبديّة يراجع ضرورة فعله في الدورات السابقة، فهل يبقى مجال للقصد والنية؟

يقول نيتشه: "عش كما لو كانت عليك أن تشتهي العيش ثانية، وهذا واجبك وستعيش ثانية في كل الأحوال" (يوحنا قمير نيتشه، الموسوعة الفلسفية، ص 44)

إرادة القوة عند نيتشه: نحو تأويل أنطولوجي للإنسان الأعلى وابتكار القيم

إذا كنت تعيش ثانية في كل الأحوال، يوجد تناقض في هذا القول، لم يقل نيتشه "عش كما لو كان عليك أن تعيش ثانية" بل قال: "عش كما لو كان عليك أن تشتهي العيش ثانية" «كما لو كان عليك القبول بقدرتك، في هذا القبول تكمن الحرية لكن ألم يحدث هذا القبول في الدورات السابقة؟ كيف تفسر بقاء هذا القبول حراً؟

وهنا يجدر بنا التوفيق بين العودة الأبدية والحرية أمر محال لأن نظرية العود الأبدي عند نيتشه لا تقتضي على الحرية، بل هي التي تخلصها من الحاجز الذي كان يحد من حريتها، ذلك الحاجز الذي هو بثبات الماضي، ومن يدرك العود الأبدي يشعر بأنه فوق كل ابتعاد للزمن.

يقول نيتشه "أيها الإنسان إنك كالساعة الرملية سيعود من جديد وستذهب من جديد دائماً أبداً" (عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص 515) فحسبه إذا يكون الإنسان سرمدي في هذا الكون ويبقى فيه إلى الأبد الأبدين وسيظل خالداً فيه، أما موته لا تعني أبداً فنائه بل لتكرار ميلاده كما كان في الولادة الأولى.

يقول نيتشه: "الأبد لا يعاش في دورات متباعدة، أو في أوقات بعيدة، ولكن اللحظة ذاتها هي الأبد". (Valdmir, Biaggi 1999 page 73)

فالأبدية لا تقدم من طرف الأمل الممتد والبعيد، بل هي حقيقة تعاش وتحقق في الحاضر، لأن الحاضر هو الغني بهذه الأبدية، فيرى نيتشه "أن ما أعيشه في الحاضر قد عايشته عدة مرات في الماضي وهناك احتمال أن كل شيء يعاد". (عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص 515)

لم يكن بوسع نيتشه أن "يثبت ختم الخلود" على المجتمع القائم، إلا باللجوء إلى مثل هذه الأسطورة عن العود السرمدي وهو يقول: في مجابهة الإحساس القائل [...] بالدمار الشامل طرحت فكرة العود السرمدي".

إننا نجد نيتشه في فلسفته يركز على عقيدة العودة الأبدية، بل أعد نفسه نبياً لهذه العودة، كما أنه جعل من هذه الفكرة العودة الأبدية بديلاً خاصاً للعناية الإلهية التي يرفضها ليعوضها بفكرة لا تقل عنها غيبية إلا أنها ليست دينية محضة.

3/ الإنسان النيتشوي وانهيار الأسس الميتافيزيقية والدينية التقليدية:

يتساءل زرادشت: "إذا كانت ثمة آلهة فكيف أقدر أن أتحمل أن لا أكون إلهاً" (أيكن هيندي، عصر الأيديولوجية، ص 145) ويترتب على هذا القول أنه لا توجد آلهة، لكن المسألة مسألة وجود إله ليست وحدها موضع نظري في رفض نيتشه للمسيحية، فهو معارض مرلها، يرى فيها المنشرة الرئيسية في العالم أخلاق العبيد وسدت الطريق في كل مرحلة إلى التنوير الذهني والحرية الروحية.

إن الدين عند نيتشه، وبالخصوص الدين المسيحي هو في نظره تضحية بالفكر وبحرية الإنسان وكبريائه.

وهو يقف متسائلاً: كيف تتعامل الديانتان الكبيرتان، المسيحية والبوذية ومع كل العدد الهائل من الناس، معتقدين أنهم يعملون على إطالة الحياة، على إبقاء كل ما يمكن بقاءه، والديانات التي سادت سيادة تامة حتى اليوم قد أسهمت إسهاماً واسعاً في إبقاء النموذج الإنساني على مستوى سافل: لقد أبقت على الكثيرين كان يجب عليهم أن يهلكوا. (يوحنا قمير نيتشه النبي، المتفوق، ص 117)

يقول نيتشه: "الحب المسيحي حالة من يرى الأشياء على غير حقيقتها... حالة من يحلق فوق أسوء ما في الحياة فلا يعود يراه البتة". (قمير، نيتشه النبي المتفوق، صفحة 117).

لقد ذهب نيتشه إلى أبعد من ذلك إذ أن في الإنسان المتفوق بديل الله المسيحي الذي قد أفل ويظهر من خلال قوله "كل الآلهة قد أفل صداها في العقل الحدائي، ونريد الآن أن يعي المتفوق والذي يأخذ مكان القيم المطلقة القديمة.

"لقد انتهت حياة القيم المطلقة منذ عهد بعيد، حقا قد انتهت نهاية طيبة ومرحلة كما لهؤلاء الآلهة. (ويل ديوران، قصة الفلسفة، ص 521)

لقد وضع نيتشه اسم زرادشت ذلك الإنسان الذي يبدع قيمة كلها بصورة مطلقة، هذا الإنسان المؤله لا يمكن أن يكون عبد كل شيء، ولا عبد لذاته، فهو يعمل بدون انقطاع على تجاوز ذاته إلى السمو فوق القيمة القديمة "حتى تصبح نجومك ذاتك من تحتك". (العوا، 1977، صفحة 353)

هاهنا نيتشه يتجاوز تجاوزا خاصا للإله القادر على كل شيء ولا نهائي، تجاوز الله للإنسان هو تجاوز للقيم الإنسانية، ولكنه على العكس تعالى بمعنى تجاوز الإنسان بقيمه وذاته معا.

إن نيتشه يعمل جاهدا على إعادة تقويم قيم الأسياد، وهي قيم تصدر مباشرة عن إرادة القوة والشجاعة وروح الحرب ... وعليه فتكون أخلاق العبودية مجرد ارتكاس على انتصار السادة، ولا تعتبر عملا بينما نجد أخلاق الإنسان الأعلى تعمل وتنمو نموا عفويا. إن العالم الحديث يدور مضمونه حول أخلاقيات القطيع بسبب التخلف المسيحي (وطئ) الذي هو إنعاش للانصياع الفيزيولوجي العام، أما إنجيل الأقوياء والسادة فيعتبر إنجيلا جديدا، ومن واجبه تمجيد الفردية والأرستقراطية، والمخاطرة. ف"الإنسان هو شيء يجب الصعود إلى ما فوقه". (سورين، صفحة 105) فأخلاق نيتشه أخلاق فوقية بعيدة كل البعد عن الفرضية الاستمتاعية التي ظنها بعض النيتشويين الساذجين كذلك، فهذه الأخيرة تتطلب من الإنسان الأعلى التصوف، والشجاعة، والذي يجب عليه أن يحمل عبئا ثقيلا هو التضحية في سبيل الأمل البعيد الغامض.

4/ نيتشه والعلاء على الذات:

لقد تحدث نيتشه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" حول مفهوم العلاء على الذات إذ نجده يقول "أتسمونها إرادة الحقيقة تلك القوة التي تدفعكم بأعظم الحكماء، وتبعث فيكم الحماسة، وإنها الرغبة في جعل كل موجود قابلاً للتفكير فيه، وهذا هو الاسم الذي أطلقه على إرادتكم، أنكم تريدون أن تجعلوا كل موجود قابل للتفكير فيه، ومن ناحية أخرى تشكون في هذا الأمر". (مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية - نيتشه - دار مكتبة الهلال، ص 97).

إن الإرادة عند أعظم الحكماء هي إرادة القوة، حتى وإن تحدثوا عن الخير والشر أو عن تقدير القيم، فأين وجدت الحياة وجدت هناك إرادة القوة، وحديثنا عن استسلام الضعيف للقوي ما هو إلا أمر تفرضه عليه إرادته، والتي تريد أن تتحكم في من هم أضعف منه، وكما يستسلم الأصغر للأكبر حتى يشعر باللذة والقوة إزاء من هو أصغر منه، فحيثما وجدت تضحية هناك تكون أيضا إرادة السيطرة، وهذه السيطرة تكون بطريقة تسلسلية أي من الأكبر درجة في القوة إلى أقل درجة من الضعف.

إرادة القوة عند نيتشه: نحو تأويل أنطولوجي للإنسان الأعلى وابتكار القيم

لقد وضع نيتشه المشروع المتعالي للقيم في الوجود، فلا بد للإنسان من ابتداعه للقيم والتي بموجبها تتعالى على ذاته، فهكذا تسود قيما مضادة، قائمة على الإيمان والإرادة كمبدأ واجب لكل القيم، فكل ما يهتم نيتشه هو إرادة القوة في الإنسان كقيمة، وكل ما يعوقها ويضعفها خالي من القيمة، سيتنافى مع قيم الحق، فليس للعالم غاية خارجة عنه أو مجردة في عالم آخر فغاية الإنسان الوحيدة في الحياة هي الزيادة في إرادة الاقتدار قصد تحقيق التفوق وبالتالي العلاء والسمو على ذاته.

إن اهتمام نيتشه بالأخلاق وهو محاولة الاستقلال التام عن التقويم الأخلاقي السائد له، وغايته السامية من وراء ذلك تهدف إلى الخروج الإنسان من العدمية التي كبلت الذات الفردية ولا يمكن التغلب عليها إلا بشرط أساسي، وهو تنظيم الإنسان لذاته ولكن هذا التنظيم الذاتي يجب أن يكون مقرونا باحترام القانون الأخلاقي.

لا شك أن ما يقصده نيتشه بتعالي الإنسان عن ذاته هو إلغاء العقائد القيمية السائدة وتجاوزها، ومحاولة ابتداع قيما جديدة ومغايرة.

ومن هنا يقوم نيتشه بقفزة نوعية، حيث لا يقتصر فقط على التفكير الفلسفي، بل يتناول كذلك "الابتداع المتعالي" لقيم الوجود حيث يجاوزه إلى تفسير الحياة تفسيراً مادياً، وقوام قوة الحياة حسبه يكمن في معرفة إرادة القوة والضعف في الانصراف عنها - ومن جهة يدرك أن إرادة القوة والضعف في الانصراف عنها - ومن جهة يدرك أن إرادة القوة على أنها نزعة أساسية في حركية كل الموجودات ومن ناحية أخرى يأخذها إلى حد ما يعني معروف من جهة نظر المضمون وهي بمثابة صيغة مثالية للوجود. (الياس بدوي - فلسفة نيتشه، ص 145)

4. خاتمة

بعد تحليل معمق لمفهوم إرادة القوة في فلسفة نيتشه، يتبين أن هذا المفهوم لا يختزل في بعده البيولوجي أو السيكولوجي، بل يشكل نواة تأويلية لأنطولوجيا الوجود الإنساني، ومبدأً شاملاً يعاد من خلاله بناء القيم، وفهم الحياة، وتجاوز الإنسان لذاته. لقد كانت إرادة القوة عند نيتشه بديلاً عن الميتافيزيقا التقليدية، ونقطة مفصلية لفهم الإنسان خارج ثنائية الخير والشر الموروثة، وفي ضوء تجاوز الإله كمصدر للقيمة.

كما تبين أن "موت للقيم المطلقة" ليس نفيًا للبعد الديني فحسب، بل تعبير عن انهيار المنظومة المرجعية الكلاسيكية، وهو ما مهّد السبيل لفكرة الإنسان الأعلى باعتباره مشروعاً وجودياً يطمح إلى ابتكار القيم وتحمل مسؤولية المعنى في غياب المطلق.

إن إرادة القوة، من هذا المنظور، لا تؤسس لنزعة عدوانية عمياء، وإنما تدعو إلى خلق فرداني نشيط، يعلو على ذاته، ويعيد تقويم العالم من داخل تجربته الخاصة، بعيداً عن أخلاق القطيع أو أنساق الامتثال.

وهكذا، فإن فهم إرادة القوة كمبدأ كوني وتأويلي لا ينفصل عن قضايا الحرية، والتفوق، وإبداع المعنى، ويظل مشروع نيتشه مفتوحاً على قراءات متعددة، يتطلب كل منها يقظة نقدية وتحليلاً مفهوماً صارماً، يمنع من اختزال هذه الفلسفة في شعارات مبتورة أو تأويلات سطحية.

5. قائمة المراجع:

1. Jacqueline Russ. (1998). *philosophie Les auteurs*, . paris : les œuvres Edition Bordas page 336.
2. Nietzsche, F. (1968). La genealogie de la moral. Dans *Frederic Nietzsche*. Edition gallimard.
3. Nietzsche, F. (1965). par de la le bien et le mal Traduit par beari albert. Dans F. Nietzsche, *par de la le bien et le mal Traduit par beari albert*. France .
4. (1999). Valdmir Biaggi 1999. Dans *Nietzeshe Synthèse Armand colin* (p. page 73). 21 Rue du Montparnasse 75006 paris Octobre .
5. جماعة من الاساتذة السوفيات ، موجز تاريخ الفلسفة، تعريب توفيق ابراهيم سلوم، مراجعة الدكتور حضر زكريا موسكو: الطبعة الثالثة، 1979 .
6. العوار، ع. (1977). الاخلاق. ، المطبعة الجديدة، دمشق.
7. بدوي، ا. (1974). ا. بدوي، *فلسفة ينته منشورات*. دمشق: دار الثقافة والإرشاد القومي.
8. حمادي حميد. (1998-1997). مفهوم إبداع الذات عند الفيلسوف الألماني فريديرك نيتشه. مذكرة التخرج النيل شهادة الليسانس وهران.
9. ديورانت ويل. قصة الفلسفة. مكتبة المعارف.
10. سورين، ا. *المشكلة الاخلاقية والفلسفية والجمالية عبر العصور*. الطبعة الثانية، دار الكتب الحديثة.
11. صمودي، م. (2015). من جليماش الى نيتشه: بحث في الثقافة العالمية . دمشق، سوريا: داررسلان.
12. قمير، ي. نيتشه النبي المتفوق. نيتشه النبي /المتفوق. لبنان: منشورات المشرق.
13. محمد عبد المعز. *نصرفي النظريات والنظم السياسية*. بيروت: دار النهضة للطباعة ونشر.
14. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة فلسفية - نيتشه - دار مكتبة الهلال،
15. نيتشه فريديرك. (1959). العلم المرح. مطابع إفريقيا الشرق الدار البيضاء.
16. فؤاد. زكريا. نيتشه، *الطبعة الثانية*. مصر: دار المعارف.